

وظيفية الكتاب المدرسي في ظل المقاربة بالكفاءات

-دراسة نقدية للكتاب المدرسي للسنة الثانية ثانوي مادة التاريخ-

أ. خنيش عبد الفتاح

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

khennicheabdelfettah@yahoo.fr

الملخص:

ترتكز الأداء والأنشطة التربوية في ظل المقاربة بالكفاءات على عدة وسائل تربوية ضرورية لإنجاح العملية التعليمية التعلمية، ويعتبر الكتاب المدرسي من أكثر الوسائل استغلالاً من المعلم والمتعلم على حد سواء، فالتلميذ يستأنس به في عملية التحضير ويعينه في الفهم والتحصيل من جهة، ومن جهة أخرى يستعين به الأستاذ للتحضير وتوجيه التلاميذ وهو وسيلة فعالة لتسيير الأنشطة التربوية بالنسبة له، ومع أن المكلفين بتطبيق طريقة المقاربة بالكفاءات في التدريس والمكلفين بإعداد الكتاب المدرسي من أساتذة ومفتشين لم يتحكموا بعد في هذا المنهج الجديد في التعليم بمختلف أطواره، ظهرت عدة نقائص في إعداد وإخراج الكتاب المدرسي جعلت من المدرسين يجدون صعوبة في تطبيق المناهج، وجعلت من عملية استغلال الكتاب المدرسي أمراً مستعصياً وسنحاول في هذه الدراسة تحليل محتوى الكتاب ونقد مكوناته.

الكلمات المفتاحية: الكتاب المدرسي، المقاربة بالكفاءات، وظيفة، العملية التعليمية التعلمية.

: Résumé

On the competency approach, the educational performance and activities are based on several educational means necessary for the success of the learning process. The school book is considered one of the most exploitative methods of the teacher and the learner alike. The student adopts him in the preparatory process and prepares him for understanding and collection on the one hand, Professor of preparation and guidance of students is an effective way to conduct educational activities for him, and although those charged with applying the method of approach to competencies in teaching and the authors of the textbook teachers and inspectors have not yet mastered this new approach to education at various lengths Rh, several shortcomings in the preparation of and directed the textbook appeared made teachers find it difficult to apply the curriculum, and made from the exploitation of the textbook process an order and we will try to elude in this study book content analysis and criticism of its components.

Keywords : school book, Competency approach, Functional, Educational learning process

المقدمة:

تحتل مادة التاريخ مكانة بارزة في المناهج الدراسية وذلك لما لها من أهمية في تربية النشء وربطه بتراث مجتمعه ووطنه وأمته وتراث الإنسانية، وكمادة دراسية تهدف إلى تحقيق تنمية شاملة لشخصية المتعلم ليوعي ذاته كجزء من عالم تتشابك فيه القضايا والأبعاد، ولتدريس هذه المادة يعتمد الاستاذ على عدة وسائل تعليمية منها الخرائط، اشرطة فيديو، صور، نصوص ووثائق تاريخية، أجهزة العرض...الخ، ويأتي في مقدمة هذه الوسائل الكتاب المدرسي الذي يعد بحق الوسيلة الأساسية الأكثر استعمالاً في المدرسة الجزائرية سواء من المعلم أو المتعلم على حد سواء.

الكتاب المدرسي هو الوعاء الذي يحتوي المادة الدراسية والمقرر الدراسي الذي يتضمنه المنهاج بمفهومه الشامل، كما يعد وسيلة تعليمية قاعدية موجهة للأستاذ والتلميذ معا لا نه يتكفل بمجمل اهداف المنهاج، ويتضمن مفاهيم ينبغي اكتسابها وانشطة للتعلم تتماشى وسن التلميذ وواقعه التاريخي، كما يحتوي على وسائل للتقييم التكويني المدمج في مسعى التعلم، ويعرض الكتاب المحتوى ويقدمه بشكل يسهل الفهم ويحفز التلميذ، فهو بالنسبة للأستاذ وسيلة تعليمية أساسية ومرجع معرفي وسند بيداغوجي، كما يمثل بالنسبة له مصدر لحدود الالتزام التربوي ووثيقة مرجعية تترجم الاهداف العامة والنوعية والاجرائية، والكتاب المدرسي يضمن وحدة التعليم والتكوين وفق مقاييس منظمة لمحتواه المعرفي والتربوي، وهو وسيط ملزم في العمل التربوي التعليمي من حيث تطبيق التعليمات والتوجيهات الوزارية من طرف الاستاذ(1)، اما بالنسبة للتلميذ فهو مرجع تعليمي تعليمي، ووسيلة تعليمية للإعداد القبلي ولتعميق المكتسب من خلال التطبيقات والسندات التي أعدت للدعم والبحث والاستثمار، وهو مرجع أساسي لضمان المشاركة الفعالة اثناء حل الوضعية الاشكالية وبناء المعرفة.

وقد استوحى الكتاب المدرسي من المنهاج المقرر ما يضمن به التكوين الفكري والثقافي والوجداني للمتعلم ويجعله اداة لتحفيز الفكر، ووسيلة تتيح له اكتشاف المعرفة والمهارات، واذا كان المنهاج هو الاداة المرجعية للأستاذ فالكتاب المدرسي هو الاداة المرجعية للتلميذ، مما يستوجب على الاستاذ الاقلاع عن ظاهرة الاعتماد المطلق على الكتاب المدرسي.

بعد اعتماد خيار التدريس بالمقاربة بالكفاءات، تم تصميم الكتب المدرسية لمختلف المواد من طرف لجان مختصة عينتها وزارة التربية الوطنية، حيث يشرف على إعداد هذه الكتب مفتشون وأساتذة وأخصاء في الإعلام الآلي والتصميم والتركييب، غير ان الاساتذة المكلفون بتطبيق المقرر والمنهاج ميدانيا واجهتهم -ولا تزال تواجههم - عدة صعوبات في ما يخص محتويات الكتب والاطفاء اللغوية الواردة فيها وحتى في منهجية استغلال الكتاب المدرسي. ولهذا قررنا القيام بدراسة نقدية لكتاب التاريخ الخاص بالسنة الثانية ثانوي لتقييم محتواه وتقييم المنهجية التي صمم لي عمل الاستاذ والتلميذ بها، وسنحاول في هذه الدراسة الاجابة على الاسئلة التالية:

- هل يناسب محتوى الكتاب مستوى نضج التلاميذ وقدراتهم ؟

- بما أن صعوبة المحتوى في كل مرحلة تعليمية ترتبط بخبرات سابقة، فهل بالإمكان أن تشمل المراحل السابقة مثل هذه الخبرات لتكون خلفية جيدة للتلاميذ في المواقف التعليمية الجديدة ؟
- هل صمم الكتاب المدرسي فعليا حتى يتوافق مع منهجية التدريس بالكفاءات ؟
- ماهي الصعوبات الميدانية التي يواجهها الأساتذة في عملية استغلال الكتاب المدرسي ؟

1 أهداف الدراسة:

يهدف بحثنا الى تحليل جزئيات الكتاب المدرسي من مضامين ومعارف تاريخية ولغة وطريقة التصميم ووسائل الايضاح الواردة فيه والتحقق من مدى تجاوبه مع الغايات والاهداف التي نص عليها مشروع اصلاح المنظومة التربوية، ومدى توافق ما ورد فيه مع طريقة التدريس المعتمدة ، كما نهدف الى تشخيص العوائق المنهجية التي تواجه تدريس مادة التاريخ في الثانويات الجزائرية ، خصوصا وان هناك عدم رضا لدي اساتذة المادة المكلفين بتطبيق المناهج داخل الحجرة الدراسية، ونهدف في هذه الدراسة النقدية الى التشخيص الدقيق لهذه النقائص واقتراح حلول نراها مناسبة لتحسين صورة الكتاب وتحسين الاداء التربوي لدي الاساتذ والتلميذ. وسنركز اكثر على الجانب المنهجي ومدى تلاؤمه مع طريقة التدريس الحديثة ونهدف أكثر الى الربط بين منهج التدريس بالمقاربة بالكفاءات ومضمون الكتاب المدرسي.

2 اهمية الدراسة:

تكتسي دراستنا اهمية بالغة لكونها مست عنصر مهم من العملية التعليمية التعلمية وهو الكتاب المدرسي، فالوسائل وفق المقاربة بالكفاءات تلعب دورا مهما عكس النظام القديم اين كان الاستاذ محور العملية التعليمية التعلمية، وكان الكتاب المدرسي حينذاك وسيلة مطالعة للتلميذ لا اكثر، اما في النظام الجديد فقد اصبح للكتاب المدرسي دور فعال ويعد من اكثر الوسائل التربوية استعمالا ، بل يعد وسيلة اساسية وضرورية داخل الحجرة الدراسية، فبالإضافة الى كونه يعكس محتوى المنهاج والمقرر فانه يعد المحرك الرئيسي للدرس حيث ترتبط تعليمات وتوجيهات الاستاذ واسئلته به، ولهذا يجب ان يكون الكتاب المدرسي معدا بطريقة دقيقة حتي يتلاءم مع الاسئلة والاهداف التي يصبو الاستاذ الى تحقيقها ويجب ان يعين التلميذ بطريقة فعالة في الفهم واستخراج المعلومات وحل الاشكاليات.

ومن شان دراستنا ان تقدم تقييما للكتاب المدرسي الخاص بالسنة الثانية ثانوي وتحدد خاصة مواطن النقص والخلل ، ان اعداد الكتاب المدرسي حتى يتماشى مع الطريقة الجديدة في التدريس وهي المقاربة بالكفاءات يعد امرا صعبا للمرة الاولى ويجب ان يعاد النظر فيه من فترة لأخرى حتى يتم تنقيحه وتصحيحه، واذا كانت الاخطاء اللغوية والمعرفية امرا يسهل ملاحظته وحتى تصحيحه في الطباعات اللاحقة فان ما يطرح الاشكال هو الجانب المنهجي، حيث ان ما يلاحظ في الميدان هو وجود صعوبة بالغة لاستغلاله نظرا لاحتوائه على ملخصات للعناصر واجابات لإشكاليات كان من المفروض ان المتعلم هو الذي سيصل اليها ويستخرجها من السندات ؟ كان يجب ان يكون الكتاب عبارة عن مجموعة من السندات ووسائل ايضاح لا غير، والقارئ غير المتخصص في المادة وفي المقاربة بالكفاءات لن يلاحظ ذلك، ولا يعرف مواطن الخلل الا الاستاذ الذي يلاحظ هذا الخلل ميدانيا.

وجب قبل الشروع في تحليل محتوى الكتاب تقديم بطاقة تعريفية به:

العنوان	كتاب التاريخ للسنة الثانية من التعليم الثانوي (الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية) 2007 - 2008م
الاشراف	فاطمة بومعروف (مفتشة التربية والتكوين للتاريخ والجغرافيا)
التأليف	سعيدة داودي، سكيئة حراث، موسى السبتي، بلقاسم حايض
الايخراج	تركيب وتصميم: حكيم رياش، الصور: كمال ساسي، الخرائط: خالد بلعيد.
عدد الصفحات	144 صفحة
الجانب الكمي	الوحدة التعليمية الاولى: الاستعمار الاوروبي في افريقيا واسيا ومقاومته (عدد الصفحات 21 بنسبة 14.58%) الوحدة التعليمية الثانية: العلاقات الأوروبية والأوروبية وانعكاساتها القارية والعالمية 1815 - 1954م (عدد الصفحات 44 بنسبة 30.55%) الوحدة التعليمية الثالثة: الاستعمار الفرنسي في الجزائر والمقاومة الوطنية 1830 - 1954م (عدد الصفحات 50 بنسبة 34.72%) وضيعات ادماج وتقويم: (عدد الصفحات 21 بنسبة 14.58%) صفحات ارشادية: (عدد الصفحات 8 بنسبة 5.55%)

أ - من حيث المحتوى المعرفي للكتاب:

تلعب المعرفة في ظل المقاربة بالكفاءات دور الوسيلة التي تضمن تحقيق الأهداف المتوخاة من التربية والتدريس وهي بذلك تندرج ضمن وسائل متعددة تعالج في إطار شامل تتكفل بالأنشطة وتبرز التكامل بينها، وتسمح المقاربة عن طريق الكفاءات بتجاوز الواقع السابق الذي يركز على الحفظ والاسترجاع وعلى منهج المواد الدراسية المنفصلة ويتجاوزه الى الاستنتاج والربط والتحليل والنقد... الخ، وينبغي ان يعتمد على تنظيم المحتوى المعرفي للكتاب المدرسي على تقسيم الزمن الى عصور وفترات تاريخية، وترتيب الاحداث وفق التسلسل الزمني لإكساب المتعلم بعض الحقائق التاريخية المهمة، ولإعانتة على فهم الواقع التاريخي بمختلف جوانبه، ويجب ان تكون الوحدات المقررة مكملية للوحدات السابقة التي درسها المتعلم في مراحل سابقة حتي يتمكن المتعلم من الربط بين بين الاحداث ويصل الى مستوى يتمكن خلاله من تفسير الاحداث واستنتاج الاسباب والعوامل وقراءة الانعكاسات... الخ.

والملاحظ ان الكتاب المدرسي للسنة الثانية ثانوي فيه تعميم شبه كلي لتاريخ المغرب العربي (تونس - المغرب الأقصى - ليبيا)، فقد اهتم اكثر بالتححر في العالم الثالث والجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي بالإضافة الى تاريخ اوروبا ممثلا في الحربين العالميتين الاولى والثانية، وهذا ما اخل بالتوازن في تدريس المادة والتي كان من المفروض ان يشمل الكتاب تاريخ العالم ككل ولا ينبغي اقصاء مرحلة معينة او منطقة معينة من المحتوى، ولذلك انعكاس سلبي حيث يؤدي الى خلق قصور لدى المتعلم في ما يخص الصيرورة التاريخية والربط بين الاحداث، وهو ما صور الجزائر كدولة منتمية الى المشرق الاسلامي والدولة العثمانية متناسيا الانتماء الحضاري للجزائر الى المغرب الاسلامي او العربي.

ومن جهة أخرى، يصور محتوى الكتاب المدرسي وسنداته وجزئياته الغرب وأوروبا خاصة على أنها العدو الأبدي للجزائر وللإسلام، حيث تغيب فيه روح الانفتاح والتضامن والتحاور بين الأديان، وعلى سبيل المثال فإنها تنمي روح الحقد ضد كل ما هو أوروبي بعيدا عن الموضوعية التاريخية التي ينبغي أن يتحلى بها المؤرخ ويكتسبها القارئ أو المتعلم، فالمتعلم ببساطة يكتسب الحقد قبل اكتسابه مهارات أخرى كالنقد والتحليل... الخ.

إن الملاحظ أيضا أن الأيديولوجيا التاريخية الوطنية تدعو لخطاب تاريخي معين، وتقوم على عناصر تستدعي العاطفة أكثر من النقد والتحليل وتقوم على الاعتزاز بالماضي الوطني لا على البحث عن قوانين ومراحل التطور الوطني، كما يلاحظ أيضا تخصيص نسبة كبيرة من الكتاب المدرسي ومن الوضعيات التعليمية لتاريخ الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي من الاحتلال إلى غاية قيام الثورة (1830م - 1954م). (2)

ب - من حيث المنهجية:

تقتضي منهجية تناول المادة الانطلاق من أهداف عامة تمكن المتعلمين من اكتساب كفاءات دائمة باعتبارهم محور الفعل التربوي أو العملية التعليمية، بحيث تمكنهم من بناء واكتساب معارف وظيفية في مادة التاريخ تستجيب لحاجياتهم الحينية والمستقبلية، بمعنى أنهم يتعلمون كيف يتعلمون؟ وكيف يوظفون مكتسباتهم في وضعيات جديدة؟ وهي الصفة الإدماجية وهي التغيير الحاصل الذي يتجاوز التلقين وهي أيضا مساعدة المتعلمين على القيام بدور فعال و مسؤول في تكوينهم الذاتي، من خلال توفير الظروف التي يجدون فيها إجابات عن تساؤلاتهم تبعا لمكتسباتهم القبلية وخبراتهم اليومية وإكسابهم سلوكيات مسؤولة تدريجيا للوصول إلى الاستقلالية.

تمكن المقاربة بالكفاءات بعد اعتمادها في تدريس التاريخ من الاهتمام بالخبرة التربوية لاكتساب عادة جديدة سليمة وتمكن أيضا من تنمية المهارات المختلفة والميول مع ربط البيئة تاريخيا وتراثيا وقيما بمواضيع دراسة التلميذ وحاجياته الضرورية، ويؤدي بناء المناهج بهذه المقاربة إلى إعطاء مرونة أكثر وقابلية أكبر في الانفتاح على كل جديد في المعرفة وكل ما له علاقة بتطور شخصية المتعلم.

إن المقاربة بالكفاءات اختيار منهجي بنائي يؤثر إيجابا على تعليمية مادة التاريخ وذلك من خلال اعتماد مساعي بيداغوجية تمكن من تنمية قدرات المتعلمين لاكتساب كفاءات ومنهجيات عمل في إطار بناء المعرفة وصولا إلى توظيف مكتسباتهم في وضعيات الحياة خارج القسم، وتمكن المتعلمين من العمل والدراسة على أساس عقد تعليمي يكون فيه دور الأستاذ ممثلا في التخطيط والتنشيط والتوجيه والتقويم، ويكون فيه دور المتعلم مشاركا منتجا للأفكار والمعرفة بشكل فردي أو جماعي، وهذه المقاربة تمكن أيضا المتعلمين من كل الأدوات التي تساعدهم على اكتساب منهجيات عمل لمعالجة الإشكاليات وتجاوز أسلوب الحفظ والتلقين والتركيز على التقويم التكويني والمعالجة الآنية للشغرات في جو مريح للمتعلم، حيث يفكر المتعلمون في مساعي تعلماتهم الخاصة التي تساعدهم على تدعيم مكتسباتهم واستثمارها في إطار عملية بناء المعرفة التي تضع المتعلم أمام وضعيات معقدة وذات دلالة تكون مساعيهم التعليمية قوية تعتمد

على موارد معرفية ومهارية وسلوكية، تأخذ بعين الاعتبار محيطهم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي...الخ

حسب منهجية التدريس وفق المقاربة بالكفاءات في المدارس الجزائرية فان العناصر المنهجية الرئيسية لبناء الوضعيات تتكون من:

-السند : وهي عناصر مادية يقترحها الاستاذ على المتعلم اما نصوصا او خرائط او مقتطفات فيديو او صور...الخ، يستند اليها المتعلم للوصول الى حل للمشكلة المطروحة.

-التعليمية : وهي مجموع توصيات العمل يقدمها الاستاذ للتلاميذ، وعادة ما تكون عبارة عن اسئلة واضحة ودقيقة.

-المدة الزمنية: يحددها الاستاذ للتلاميذ لإنجاز العمل المطلوب، وتكون حسب ما يراه الاستاذ كافيا للقيام بالعمل.

-طبيعة العمل: اما يكون عملا فرديا او ثنائيا او جماعيا.

-المنتج المرتقب: هو المنتج الذي يصل للتلاميذ اليه بعد استغلالهم للسندات .

-التقويم: يكون من طرف الاستاذ ويتمثل اساسا في تقييم عمل التلاميذ وتصحيح الاخطاء وتقديم التوجيهات والملاحظات.

ولابد للوضعية ان يكون لها دلالات، وتظهر اساسا في مستويات مختلفة ترتبط بمكونات الوضعية، وتعطي معنى لما يتعلمه المتعلم وهي :

السياق : حيث تكون قريبة من حياة المتعلم واهتماماته.

الوظيفة : تمكن المتعلم من التقدم في إنجاز عمل معقد.

المعلومات: تنبه المتعلم الى المسافة الفاصلة بين ما هو نظري وما هو تطبيقي.

المهمة : إدراك المتعلم للتحدي الذي ترفعه أمامه هذه الوضعية(3).

عند القاء نظرة ولو بسيطة على الكتاب المدرسي للسنة الثانية ثانوي يلاحظ خلل منهجي كبير في محتوى الكتاب، واذا كان الكتاب يعتبر سابقا وسيلة لتبليغ المعارف فانه حاليا يعتبر وسيلة لتنمية القدرات والمعارف، لكن الملاحظ في كتاب السنة الثانية ثانوي هو ان المنتج الذي من المفروض ان يصل الى بنائه المتعلم بعد معالجته للسندات يتواجد داخل الكتاب المدرسي بعناصره الدقيقة(4)، وهذا ما وضع الاستاذ امام مشكلة وجرح كبير، فحتى وان قدم الاستاذ تعليمة للتلاميذ فانهم لا يكلفون انفسهم عناء البحث عن اجابة لها باعتبار اجابتها متوفرة وملخصة داخل الكتاب المدرسي، فكل صفحتين متقابلتين في الكتاب المدرسي تتواجد في الاولى ملخصات لعناصر مقرر وفي الثانية سندات وهنا انعكست العملية ولم تعد لطريقة حل المشكلات معنى ، حيث اصبحت السندات كشرح للملخصات الواردة فيها، ولهذا ظهر الكتاب غير وظيفي لأنه ببساطة لا يخدم الطريقة الحديثة في التدريس، وكان يجب ان يتوفر فقط على سندات علمية يوظفها التلميذ للوصول الى بناء منتج، ثم ان عملية تقديم ملخصات داخل الكتاب المدرسي جعل من عملية تطبيق المقاربة بالكفاءات امرا صعبا، فالتلميذ لا يستطيع التفكير واستخراج معلومات من

السندات وهي متوفرة وملخصة بطريقة دقيقة داخل الكتاب المدرسي، وهذا الخلل في نظرنا يستدعي معالجة مستعجلة لأنه يضرب طريقة المقاربة بالكفاءات في الصميم.

كما يلاحظ ان المناهج المتبعة في تأليف الكتب المدرسية تستند الى السرد والتلقين وهو منحى لا يرسى ثقافة تاريخية علمية تأخذ بعين الاعتبار مستجدات البحث التاريخي ، ولا تعمل على تنمية الملكات النقدية لدى المتعلمين.

ج - من حيث تنظيم السندات ووسائل الايضاح:

ان السندات التي ترد في الكتاب المدرسي تمكن الاستاذ من اعتمادها للانطلاق لبناء وضعيات تعليمية تخدم الكفاءة القاعدية التي تترجمها الوحدة التعليمية والختمية التي يصبو الاستاذ لتحقيقها، وفي نفس الوقت الذي يمكن استعمالها للإيضاح ولتعميق الفهم والدعم، ويجب التركيز على السندات لان منهجية استغلالها تحتل حيزا معتبرا في المعالجة وانجاز التعليمات من طرف التلميذ، ولأنه ايضا لا تاريخ بدون سندات (صور، نصوص، خرائط، جداول زمنية.....) وكل ما هو كفيلا بتقريب المفاهيم الى ذهن المتعلم ويساعد على بناء التصورات واستيعاب المحتويات الجديدة.

ان المتعمق في كتاب السنة الثانية ثانوي الخاص بمادة تاريخ يستنتج عدة ملاحظات تخص السندات يمكن ايجازها فيما يلي:

- تم ذكر مصادر السندات بإيجاز غير مبرر، وبعض السندات بدون مصدر، ويظهر أن أغلبها مستقاة من شبكة الإنترنت دون تفحص ودون التدقيق فيها ودون العودة الى مصادرها الاصلية، اما ذكر صفحة المصدر او المرجع فهي نادرة وهذا من شأنه ان يطعن في مصداقية الكتاب المدرسي ومن شأنه ايضا ان يصعب العمل على الاستاذ او التلميذ على حد سواء، ففي هذه الحالة حتى عملية تصحيح الاخطاء في حالة ورودها في الكتاب المدرسي تصبح مستعصية على الاستاذ، وفي حالات اخرى يذكر اسم الكاتب فقط، او اسم الكتاب او الوثيقة فقط، ولتحقيق مبدا الامانة وجب على القائمين على اخراج وانجاز الكتاب المدرسي ذكر مصادر السندات بدقة لتمكين الاستاذ والتلميذ للعودة الى المصادر الاصلية لتوسيع المعلومات او للتدقيق فيها، ولتعليم الناشئة الجديدة اصول الامانة العلمية ومنهجية البحث العلمي.

- من المفروض ان يكون الكتاب عبارة عن دفتر للأنشطة ، يتكون من نصوص وسندات مناسبة مختصرة وهادفة تخدم الكفاءات المستهدفة و متمحورة حول الوحدة التعليمية التي هي محل الدراسة، ولكن الملاحظ ان اغلبها في الكتاب المدرسي للسنة الثانية عبارة عن نصوص علمية دون اسئلة واضحة ، بعضها طويل جدا يستلزم وقتا كثيرا لقراءته وفهمه من طرف المتعلم.

- من المفروض ان الكتاب المدرسي وفق نظام المقاربة بالكفاءات يتوفر على وسائل ايضاح وسندات تهدف الى تنمية الكفاءات المعرفية و الوجدانية لدى المتعلمين، والهدف ليس تبليغ معلومات ومعارف بل وضع المتعلمين في وضعيات يستثمرون فيها معارف قبلية ومعارف جديدة لنجاز نشاطات فكرية.

- هناك توظيف لسندات لا علاقة لها بالوضعيات التعليمية، والتركيز على أحداث في مناطق معينة من الجزائر دون غيرها يعيب في الوحدة الوطنية والشمولية الثورية، وهناك استعمال لخطاب تاريخي يعتمد على المبالغة والعاطفة أكثر منه على التحليل والنقد.

- هي نادرة تلك الخرائط التي تحتوي على أساسيات الخريطة (العنوان، المفتاح، المصدر، الاتجاه) فهذه العناصر ضرورية لفهم الخريطة واستغلالها، فبالرغم من تخصيص وحدة تعليمية كاملة في السنة الأولى ثانوي في مادة الجغرافيا تؤكد طرق الاستغلال الأمثل لهذه الأدوات إلا أن القائمين على إنجاز هذا الكتاب تجاهلوا ذلك تماما؟ ولنا أن تصور صعوبة بل استحالة قراءة وفهم خريطة دون مفتاح والأمثلة في الكتاب المدرسي عديدة ومتعددة (5).

- السندات التي من المفروض يعتمد عليها التلميذ لإنجاز العمل أغلبها يحيل الى معارف قديمة لا تتوفر على إمكانية للنقد أو التحليل.

- يتميز الخطاب التاريخي المدرسي الذي تسوقه الكتب المدرسية بمعارف ونشاطات لا تناسب المتعلم ولا تهيؤه لاكتساب القدرة على التحليل والاستنتاج لأن السندات المقدمة ذات مضمون وصفي تقريرى لا تشجع على النقد ولا تركز الروح الموضوعية.

د - من حيث طرح الإشكاليات:

تكون كل وضعية تعليمية مقترحة متفقة مع منصوص الكفاءة وتتضمن مشكلة تمكن من معالجة المحتويات المعرفية المختارة بالنسبة للوحدة التعليمية، ووضعية التعلم هي مجموعة ظروف تضع المتعلم أمام تحدي معرفي يوظف فيه قدراته لمعالجة الإشكال المطروح وهو بذلك يكتسب كفاءات تمكنه من بناء معرفته وتعبير آخر فإن الوضعية هي المحيط الذي يتحقق داخله نشاط المتعلم.

إن المقاربة بالكفاءات تؤكد على ضرورة التخلي عن الترتيب التقليدي للمادة التعليمية، بل تتبنى هيكلية جديدة للمحتويات بما يمكن المتعلمين من توظيف مكتسباتهم القبلية للتعرف على الإشكاليات المطروحة كتحدى معرفي ومعالجتها في إطار بناء المعرفة، وعليه يتم اختيار المفاهيم الأساسية والقواعد المنظمة للمادة باعتبارها مفاهيم مستهدفة للبناء مع مراعاة التدرج في بنائها وتوظيفها توظيفا سليما.

ومن حيث تطور معالجة الإشكاليات فإنه يمر المتعلم من خبرة واقعية محسوسة، وما تمثله في ذاكرته من قراءات في توثيق تاريخي متنوع يجمع الخبرة المحسوسة مع درجات التجريد للعمل العقلي الناضج، وطريقة حل المشكلات تعتمد على إثارة المشكلات امام التلاميذ باستعمال السندات التعليمية وعلى التلاميذ التفكير في المشكلة وتحديد ابعادها والاسباب المسؤولة عنها والبحث عن سبل علاجها وفق مراحل التفكير العلمي.

هذه القواعد كان يجب اخذها بعين الاعتبار اثناء صياغة محتوى الكتاب المدرسي، فمحتواه واقعي لا يثير اشكاليات وتساؤلات عميقة، هذا ما يلاحظ على الكتاب المدرسي ، فحسب السندات والمحتوي الوارد في الكتاب المدرسي فانه لا يمكن للأستاذ طرح اشكاليات عميقة تستدعي على التلميذ التفكير في التفسير او التحليل او النقد ، وكل ما في الامر هو طرح اسئلة مباشرة مثل ماهي اسباب كذا؟ وما هو مفهوم كذا؟...ينبغي على الاشكالية ان تكون عميقة توضع في سياق تاريخي خاص ومنطلقة من واقع محسوس للتلميذ وبعبارة عن التجريد وهو امر غائب في الكتاب المدرسي محل الدراسة.

هـ - من حيث علاقة الأنشطة بالحجم الساعي المخصص:

ان الاستثمار الامثل للوقت المتاح للنشاطات الواجب تنفيذها والتميز بين الاساليب والطرق وانعكاساتها على اهدار الوقت وعلى عمل الفرد وعمل الفرق الدراسية وعلى سير الدرس عموما يطرح اشكالية اخرى، ففي النظام القديم اين كان الاستاذ يلعب دورا محوريا في سير الدرس كانت مهمة التلميذ هو الانصات يامعان لكلام الاستاذ وتلقي المعلومات وتسجيلها، وكان الاستاذ هو المخطط والمتحكم في توزيع الوقت المناسب لكل عنصر دراسي، ان شاء اختصر وان شاء مدد الوقت حسب درجة التقدم في البرنامج الدراسي، اما في ظل هذا النظام اصبحت عملية تخصيص الوقت المناسب لكل نشاط امرا صعبا باعتبار ان التلاميذ هم المكلفون بإنجاز الأنشطة ، ومع تدخل عدة عوامل منها تفاوت مستوى التلاميذ وطول بعض الأنشطة وعدد التلاميذ داخل الحجرة الدراسية...الخ فان عملية انجاز هذه الأنشطة كاملة من طرف جميع التلاميذ يستلزم وقتا كثيرا، واذا ربطها الاستاذ بوقت معين فإنها حتما ستكون اعمالا مبتورة وغير كاملة، حيث ان العمل الميداني مغاير تماما لما كان يتصوره معدو البرامج، ومن الصعوبة البالغة ان يتمكن الاستاذ من انهاء البرنامج الدراسي في وقته المحدد اذا التزم حرفيا بتطبيق طريقة المقاربة بالكفاءات.

و - من حيث وضعيات التقويم:

في ظل هذه المقاربة يوضع التقويم لخدمة المتعلم، اذ لا يقوم التلميذ على انه ناجح او راسب بقدر ما يهدف الى مساعدته على معرفة تنمية كفاءاته وتوجيهها بالطرق البيداغوجية في التدريس والتي تتماشى والاستراتيجيات المعتمدة وفقا لكفاءاته، ومن المفترض ان تكون وضعيات التقويم شاملة لمختلف مكتسبات المتعلمين وذات علاقة مباشرة مع العناصر الرئيسية للبرنامج، والملاحظ في كتاب السنة الثانية ثانوي ان وضعيات التقويم قليلة جدا ، وان وجدت فإنها تشتت معارف التلاميذ وتحول نظرهم الى قضايا اخرى بعيدا عن العناصر الرئيسية المقررة، وكان يجب تخصيص وضعيات تقويم متعددة تفرض اجباريا على التلاميذ، وعلى الاستاذ مراقبتها وتصحيحها داخل الحجرة الدراسية، ويجب ان تكون ايضا ذات علاقة مباشرة مع المقرر الدراسي وبعناصره ، أي ان تكون هادفة الى التدقيق في تلك العناصر لا الى تحويل انظار التلاميذ الى قضايا اخرى حتى وان كانت تخدم جزئيا البرنامج الدراسي، فوضعيات التقويم الواردة في

الكتاب المدرسي اقرب الى البحوث المدرسية والى عمليات المطالعة الهادفة الى توسيع المعلومات منها الى التقويم واختبار درجة استيعاب التلاميذ للمقرر الدراسي.

3 النتائج والتوصيات:

انّ الكتاب المدرسي ليس غاية في حدّ ذاتها ليلتزم بما ورد فيه حرفيا، وإنّما هو عبارة عن وسيلة مساعدة يستثمرها الاستاذ لتخطيط عمله في ضوء التوجيهات الواردة ويستثمرها التلميذ ايضا لتنمية قدراته وتوسيع مكتسباته وخبراته الشخصية، وعلى ضوء المحتوى الوارد فيه يتمكن الاستاذ من صياغة الوضعيات الإشكالية، وبناء الكثير من الوضعيات في كلّ وحدة تعليمية والتي تساعد في تحقيق الكفاءة القاعدية المرصدة لكلّ وحدة تعليمية، وكذا تحقيق الهدف الختامي الاندماجي للسنة، وهو لا يختلف من حيث المبدأ عن الوثائق المخصصة لتسهيل عمل الاستاذ كالمناهج والمذكرات والوثيقة المرافقة للمناهج، ومن الضروري اعتماد عدة معايير تتماشى وبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات اثناء انجاز الكتاب المدرسي من طرف اللجان المختصة، ولهذا نقدم مجموعة من التوصيات لتحسين صورة الكتاب المدرسي اهمها:

- ضرورة اعادة النظر في الكتاب المدرسي خاصة في ما يخص المنهجية ، فالكتاب الحالي يخدم الطريقة السابقة ولا يخدم طريقة التدريس بالمقاربة بالكفاءات، ويجب الغاء جميع الملخصات الواردة فيه وتخصيصه للسندات فقط او تصميمه على شكل نشاطات كما هو معمول به في التعليم الابتدائي.
- ضرورة تصحيح الاخطاء المعرفية الواردة في سندات الكتاب المدرسي ومراقبة لغتها واعادة استقائها من مصادرها الاصلية، مع ضرورة الاشارة الى مصدرها (الكاتب، اسم الكتاب، الصفحة)، بالإضافة الى تحسين صورة الخرائط الواردة فيه عن طريق ذكر العنوان والمفتاح لتسهيل عملية قراءتها.
- تكليف اساتذة يتمتعون بخبرة ميدانية في عملية انجاز الكتب المدرسية لانهم هم الذين يعرفون مواطن الخلل وابعاد المفتشين من هذه العملية لانهم لا يحتكون فعليا بالكتاب المدرسي ولا يعرفون نقائصه بدقة.
- تحقيق توازن بين وحدات الكتاب المدرسي والابتعاد عن الخطاب التاريخي غير الموضوعي.

الهوامش:

- (1) دليل الاستاذ في تطبيق كتاب التاريخ للسنة الثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي، وزارة التربية الوطنية، ص6.
- (2) وذلك بنسبة 34.72% ، انظر الجدول اعلاه.
- (3) الوثيقة المرافقة لمنهاج مادة التاريخ للسنة الثالثة من التعليم الثانوي، اللجنة الوطنية للمناهج، اكتوبر 2008م، ص8.
- (4) كتاب التاريخ للسنة الثانية من التعليم الثانوي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2007 - 2008م.
- (5) انظر خرائط وسندات كتاب التاريخ للسنة الثانية من التعليم الثانوي.